سلسلة

البحرين في كتب التاريخ

(١)

كتاب

[عنوان المجد في أحوال بغداد وبصرة ونجد]

لإبراهيم الحيدري (ت: ١٨٨١م)

جمع وتعليق

أحمد بن عبد اللّه الحمدان

المقدمة:

هذه سلسلة سوف أنشر فيها تِباعاً؛ نسلط الضوء على النصوص التي وردت فيها ذكر البحرين أو ما يتعلق بها من أسماء شخصيات ونحو ذلك، تسهيلاً على الباحثين الرجوعَ إلى هذه المقالات للوقوف على المطلوب بدلاً من جرد الكتاب كاملاً، وبذلك تحفظ الأوقات والجهود وتستثمر في أمور أخرى.

وقد رأيت أثناء عملي على بحث في تاريخ البحرين الوسيط أنّ ثمّة إشكالية بضبط الخط الزمني، فقلت لو كان لدي ملف أجمع فيه النصوص الواردة ثم أرتبها زمنياً لَسَهَّلَ عليَّ سلسلة الأحداث لاحقها من آخرها، أو أن أقوم بفهرستها حسب الموضوعات التي قد أحتاجها لاحقاً.

وقد شَرع البعض في استخراج كل ما يتعلق في البحرين من بطون الكتب مثل كتاب «**البحرين في دليل الخليج**»، لعباس مرشد، وكذا كتاب «**البحرين في كتب الرحالة الأوروبيين ١٥٠٧-١٩١٤**»، للدكتور طارق نافع الحمداني، وقد يوجد غيرها مما لم أقف عليه، ولكنَّ هذه السلسلة سوف تكون مختلفة في الجانب المُستهدف، أي أنها سوف تتناول كتب التاريخ قاطبةً، ولا يهم إن كان المؤلفُ رحَّالةٍ أو شيخُ دين أو مؤرخ، أو غير ذلك.

وقد أورِدُ النصَّ من الكتاب وأُعقب عليه إن استلزم الأمر، وقد أتجاهل ذكر النصوص الثانوية، مثل أن يؤلف رجل في القرن التاسع عشر كتاباً تاريخياً ويورِدُ مقولة لياقوت الحموي من كتاب «**معجم البلدان**» والذي ألف كتابه في القرن الثالث عشر؛ بمعنى أحاول أن أفصل بين النص

المباشر والحصري الذي وضعه مؤلفه وبين اقتباس قديم، ولكن قد أوردها وأعلق عليها إن وجدت أنّ ثمة خطأ أو إشكال في فهم المؤلف المعاصرِ لها.

وثم إنّ بعض المؤلفات قد يُفرد أصحابها فصلاً كاملاً عن البحرين، فإني قد أتجنب إيراد هذا الفصل، وأبحث عن النصوص الأخرى عن البحرين في الفصول الأخرى.

وقد جاءت الطريقة أن أعرّف بالمؤلف والكتاب، وأشرعُ في وضع النصوص المتعلقةِ بالبحرين.

وأرجو أن تكون في هذه السلسلة فائدة للباحثين، وأن تفيدهم في أبحاثهم.

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد بن عبد الله الحمدان

(أبو عبد الله)

الرفاع الغربي

١٥ فبراير ٢٠٢٣م – ٢٤ رجب ١٤٤٤هـ

البحرين في كتاب

(عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد)

لإبراهيم الحيدري (ت:١٨٨١م)

المؤلف: إبراهيم بن صبغة الله بن أسعد الحيدري، فصيح الدين، (ولد سنة ١٨٢٠ وتوفي ١٨٨١م)، ويقال له: إبراهيم فصيح: أديب بغدادي المولد والمنشأ والوفاة، كردي الأصل. تولى نيابة القضاء ببغداد، وألف كتباً، منها «**عنوان المجد في بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد**»، و«**أصول الخيل والإبل الجيدة والردية**»، و«**أعلى الرتبة في شرح النخبة**» -في الحديث-، و«**إمداد القاصد في شرح المقاصد**» -للنووي-، و«**إمعان الطلاب في الاسطرلاب**»[1] في الفلك، وله كتاب طبع في السنوات الأخيرة بعنوان «**النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة**».

الكتاب: أتممتُ كتاب «عنوان المجد في أحوال بغداد وبصرة ونجد» لإبراهيم الحيدري (ت:١٨٨١م). وقد كتب كتابه هذا في أواخر سنة ١٨٦٩م أي في مرحلة شَحيحٌ فيها التوثيق.

والمؤلف من أسرة الحيدري المنتسبة إلى آل البيت، وهذه الأسرة كما وضَّح المؤلف انشطرت ما بين المعتقدَيْن السني والشيعي، ومنها انحدرت السلالة الصفوية التي أسست لها دولة في إيران، وأظن أنّ كمالاً الحيدري الشيخ الشيعي المشهور هو أحد أعيان هذه الأسرة، وهم من أهل البيت وينتسبون إلى موسى الكاظم.

---

[1] خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢، (١/ ٤٤).

وقد نُشرَ الكتاب بثلاث نسخ، والحقيقة أنَّ النسخ الحديثة (مثل طبعة دار الحكمة والدار العربية للموسوعات) مجرد إعادة صف للنسخة الأصلية القديمة الصادرة عن منشورات البصري، ولكنها أسوء وخاصةً طبعة دار الحكمة، وأظن مَن أعاد صفَّها أخطأ في كتابة بعض الكلمات فوقع نوعٌ من التصحيف، فالعودة إلى الأصل أسلم، وهي طبعة دار البصري ذات الورق الأصفر القديم؛ وهي النسخة التي سوف نعتمدُ عليها في ترقيم الصفحات بهذا المقال.

وكان أجدى بدُور النشر هذه أن تصوّب أخطاء المؤلف لا أن تجري على منوالها، وأن تفصلَ بين اقتباساته لبعض النصوص من الكتب وبين كلام المؤلف، وتَعزو الاقتباس إلى مصدره، لا أن يُطبع الكتاب على هيئته القديمة في مُجمله!

والإشكالية الأخرى في هذا الكتاب: أنّ المحقق تصرّف فيه، وهذا التصرف جعل القارئ يخلط ما بين نصِّ المؤلف ونصِّ المحقق؛ خاصةً أن المحقق لم يكتب مقدمةً ولم يُشر إلى طريقته في تحقيق وإعداد الكتاب، فمثلاً يتكلم المؤلف عن أمير في نجد فتجد قوسين مكتوب (حتى الآن ١٣٢٩ هـ) أي أنّ هذا الأمير ما زال في منصبه حتى الآن، فيظن القارئ أن ذلك من صنيع المؤلف وهو ليس كذلك، لأنَّ المؤلف في هذا التاريخ قد توفي.

وأحياناً في طبعة دار العربية للموسوعات، يذكرون أنّ هذا التعليق الذي بين قوسين هو من صنيع المحقق ياسين باشا وليس من كلام المؤلف.

وقد حدد المؤلف تاريخ انتهاء الكتاب فقال: «**وهذا آخر ما حررته في هذا الكتاب والله الموفق للصواب، بالبصرة أثناء الاشتغال بالنيابة، وختامه في شهر رمضان المبارك، سنة ألف ومائتين**

وستة وثمانين من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية»، ويصادف ديسمبر من العام ١٨٦٩م؛ أي أنَّ أيَّ إشارةٍ بعد هذا التاريخ فهي من صنيع المحقق.

سأُجمِلُ كلامي على الكتاب في نقاط مختصرة:

– تحدّث الكتاب عن بغداد والأُسَر القاطنة فيها وكذلك صنع مع البصرة وأضاف إليها ذكر أنهارها، ولكن لمّا ذكر نجداً تحدّث عن قبائلها بشيء من الإيجاز لأنه لم يسكن فيها بخلاف القُطرَيْن الأولين، وكان الكلام عن نجدٍ حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والغريب أنَّ الحيدري هنا؛ مدحها وأنكر عليها، أي لم يكن عدائياً كليّاً ولا مؤيداً تامّاً، بل كان بينَ بينٍ.

وأظن كذلكَ أنَّ الحيدري تركَ لمَسَتَهُ الخاصة في الكتاب، بمعنى أنَّ كتابه لم يكن مجرد جمع من كتب وإعادة نظمها في مؤلَّفٍ جامع، بل كانت هناكَ إضافةٌ خبريةٌ معاصرةٌ، فقد وثَّق بعض الأحداث التي قيلت له ويذكر أحياناً أسماء هؤلاء الأشخاص، مثل أنَّ والده أخبره أنّ الشيخ محمد عبد الوهاب قد تتلمذَ على يد جدهم صبغةَ الله الحيدري في بغداد، وكذا في الحوادث التي حصلت في عابدان مع قبيلة بني كعب حسب ما أخبره الشيخ المعمر علي بن محمود النقشبندي الخصيبي، وهذا الكلام له اعتبارية لقرب العهد؛ ولكن إذا كانت الأخبار عن أحداث بعيدة، فهذا يؤخَذ بتحرّز، كون الخبر هو ما كان شائعاً آنذاك وإن لم يُعضَدْ بمرجعٍ مكتوب، ولكن اعتباريته تقلّ.

وعندما تكلم المؤلف عن الأُسَر في بغداد وبصرة، ذكرَ أصلها سواء النسبي أو المكاني، بمعنى يذكر أنّ هذه الأسرة أصلها القديم من الموصل أو أرياف بغداد، ويتكلم في نَسَبها إن وقف عليه، ولكن بعض الأسر أصلاً ليست من أصلٍ عربي، ثم يذكر أعلامها أو ما اشتهر به هذا

البيت، سواء كان في الفقه أو العلم الشرعي عامةً أو التجارة أو نحو ذلك، ثم يذكر ما آلَ إليه حال هذه الأسرة، وستجد أنّ الكثير من هذه الأسر قد انقطعَ نسلها، وهذا غريب فعلاً فيبدو أنه يتكلم عن أُسر محدودة العدد. أو -لا أعلم- هل كان للحروب أو الجوائح أثرٌ في ذلك أو لا.

وقد يلاحظ القارئ أنَّ الأُسَرَ المذكورة والمقسمة على الطوائف مثل السنة والشيعة والنصارى واليهود قليل -أي ما يقرب من ١٠٣ عائلة فقط-، فلا يمكن أن يكون كل هؤلاء هم سكّان بغداد، فنقول: أنَّ المؤلف اقتصر في حصره للأُسَر على «**ذوي العلم والسيف والقلم والتجارة**»، أي لم يذكر أحداً خارج هذا الصنف، وعدد العوائل السنية ٧٠ عائلة وهم الوحيدون الذين انقرضت منهم عوائل بمقدار ١٨ عائلة (إذا استثنينا أنَّ عائلتين قد انتقلتا الى الشام)، والشيعة حوالي ١٥ عائلة، والنصارى ٨ عوائل، واليهود ٧ عوائل، وأما أسماء هذه العوائل فتلاحظ أن بعضها ينتسب إلى لقب قبلي أو عائلي، وبعضها يَنتسب إلى صاحب البيت نفسه، كما أنَّ بعضها عربي النسب وبعضها أعجمي الأصل ولكنه تعرّب.

وللمؤلف موقفٌ عقدي معادٍ للشيعة؛ ويسميهم بالرَّفضة، على عكس الاسم الشائع اليوم «الرافضة»، وقد وثَّق لنا القبائل والأسرَ التي تشيَّعت في القرن التاسع عشر؛ ولا شكَّ أنَّ هذا القرن هو القرن الذهبي للتشيُّع، ويبدو أنَّ النشاط كان في الجنوب أكثر من غيره، ويُذكر أنَّ سبب التشيّع في أحوال بعض القبائل هو خلوُّ مناطقها من أثرٍ للعلم، فكان التشيُّع مَن سدَّ هذا الخلوَّ.

ولم ينحصر الكلام في الكتاب عن بغداد وبصرة ونجد، فقد تكلّم أيضاً -وإن عَرَضاً- عن بقية مشيخات الخليج، كالبحرين وقطر وإمارات ساحل عمان (ما يعرف الآن بدولة الإمارات)

واليمن ومناطق الأحساء وعسير، وتجد له ذكراً كثيراً للكويت أثناء حديثه عن البصرة لِمَا بين القُطرَيْن من ارتباطٍ تجاري وثقافي، والقاسمُ المشترك بينهما أنهما بقعتان يستهدفهما تجار نجدٍ للتجارة فيهما، وقال عن الكويت: «**هذا وإنَّ الكويت من ملحقات البصرة .. فلشيخهم وظيفة سنوية مقدار مئة كارة تمر من الدولة العلية وهم من كونهم تبع الدولة العلية ومن ملحقات البصرة بعيدون عن أحكام السياسة**»؛ أي حكى عن تبعية الكويت للبصرة التابعة للدولة العثمانية، فكأنّ المؤلف مولعٌ بذكر تبعية المشيخات الخليجية للدولة العثمانية، ولو لم تصحَّ هذه التبعية.

الكتاب مفيدٌ للباحث، أما القارئ العادي فلا أظنه يجد فيه كثير فائدة.

النصوص التي ورد فيها ذكر البحرين:

حدود جزيرة العرب ومدة التنقل بين أقطارها، يقول المؤلف:

«**والحاصل أنَّ السائر على حدود جزيرة العرب مبتدئاً من البلقاء جنوباً على يمينه إلى مدين ....ثم يسير شمالاً، ويسير على سواحل اليمن وبحر فارس على يمينه، ويتجاوز سواحل مهرة إلى عمان من بلاد البحرين، إلى جزيرة أوال إلى القطيف إلى كاظمة إلى البصرة .... حيث بدأ على ما ذكر صاحب السلطان عماد الدين حماد في تقويم البلدان، سبعة أشهر واحد عشر يوماً تقريباً بسير الأثقال، فمن البلقاء إلى الشراة ثلاثة أيام .... ومن جدة إلى عدن نحو شهر، ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو شهر، ومن مهرة إلى عمان البحرين نحو شهر**». [ص١٨٨]

والنص المذكور مقتبس من كتاب (**تقويم البلدان**) لعماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر وهذا الأخير ابن أيوب صاحب حماة؛ لذلك يُقال عماد الدين الأيوبي، وليس في سلسله الأسماء حماد، ولعل النص المذكور هو تحريف لكلمة جمال أو غلط من المؤلف.

والنص الذي أورده المؤلف هنا فيه تصرُّفٌ مُخُلٌ، إذ جعل عُمان من بلاد البحرين في كلام عماد الدين، بينما عماد الدين لا يذكر ذلك، بل يقول: «**قال ابن حوقل: دور جزيرة العرب من عبّادان إلى البحرين وهجر نحو خمس عشر مرحلة ومن البحرين إلى عمان نحو شهر، ومن عمان إلى مهرة نحو شهر**»[٢].

أي فرق بينهما، فجعل مسيرة بين البحرين إلى عمان نحو شهر، ثم يكون المسير الى المهرة.

---

[٢] أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، مصور عن طبعة دار الطباعة السلطانية: ١٨٥٠، (ص٨٤).

ثم قال في موضع آخر وهو يحدد جزيرة العرب: «**الذي يحيط بجزيرة العرب .... ويستدير على اليمن ويستقبل الشمال والبحر على يمينه ويتجاوز سواحل مهرة إلى عمان إلى جزيرة أوال إلى القطيف إلى كاظمة إلى البصرة ويستدير على جزيرة العرب**»[3].

وقال أيضاً في تأكيد افتراق وصفي عمان والبحرين: «**وتمام الحد الشرقي من البصرة يمتدّ على ساحل بحر فارس إلى البحرين، وكذلك حتى يتجاوز عُمان ويحيط بها من جهة الجنوب بحر الهند من وراء عمان إلى سواحل مهرة من اليمن**»[4].

وقد يرى المؤلف أنَّ جغرافية عُمان تدخل في إقليم البحرين التاريخي، ولكن لا يَنسبه إلى مَن لم يقل به.

***

الشيعة البصرة بعضهم من البحرين:

«**والرَّفضة الذين في البصرة ليسوا من أهل البصرة، بل من العجم والبحرين، وبعض أهل البادية من شط العرب وغيرهم ممن ترفض فإن كل بصري الأصل سني وكذا كل جنوبي سني وترفض أهل شط العرب وغيرهم من نواحي البصرة إنما هو لعدم العلماء في البصرة ونواحيها**». [ص١٦١].

***

(٣) تقويم البلدان، (ص٧٧-٧٨).

(٤) تقويم البلدان، (ص٧٧).

أحد التجار الذين كان لهم ارتباط بالبحرين:

«ومنهم سالم البدر الكويتي، وهو من الثقات الأخيار، له من الثروة التامة والمراسلات إلى الهند وغيرها، ولأهل سواحل البحرين من مسقط والبحرين والكويت وبر فارس وغيرها بالمراجعة والتردد إليه، ذو نفس كريمة ومعاملة حسنة». [ص١٦٩]

***

الوصف العام لجزيرة البحرين ومدة بعدها عن الأقطار التي حولها وأحوال الحكم فيها:

«والناحية الثانية بلاد البحرين وهي قُطر متسع متجاور لبحر فارس كثير النخيل والأنهر والمياه واسع التجارة بحرها معدن اللؤلؤ الفاخر وعدد بلدانها يزيد على سبعين لا يوجد مثلها في الممالك وهي قريبة من بر القطيف مسافة خمس ساعات وعن قَطر أربع ساعات في السفن وعن العقير سبع ساعات مع الريح المعتدل.

والمتولي عليها ابن خليفة من وائل ويسكن أحياناً بلدة المنامة وأحياناً في بلد المحرق.

وهي من ممالك الدولة العلية العثمانية ولكثرة تردد الإنكليز عليهم فهم على وَجَلٍ منهم ولا يدَّعون إلا الانتساب إلى الدولة العلية، إلا أنَّ الدولة لم تسكت عنهم إلا لبعدهم مع كثرة مشاغلها المهمة التي هي أهم من البحرين، ومع ذلك فأهلها في حيرة من الانكليز، والعجب من ولاة بغداد كيف غفلوا عن هذه البلاد العظيمة مع كونها داخلة في جزيرة العرب التي هي مُلك الدولة العلية، وكانوا قبل هذا تحت يد ابن سعود أمير نجد الذي هو من تبعة الدولة العلية العثمانية، وكيف لا يمنعون احتجاجات الدولة الانكليزية عنهم مع وجود صداقتهم

التامة بين الدولة الانكليزية، أنهم مع صحة صداقتهم مع الدولة العلية كيف يتجاسرون على حركات تستدعي التصرف في أمور البحرين مع ظهور أنها ملك الدولة العلية.

واما دعوى الدولة الإيرانية للبحرين فهي من قبل دعوى أن مكة والمدينة لهم، وأن جزيرة العرب من إيران.

واما انتساب بعض أهل البحرين في بعض الأحيان إلى الدولة الإيرانية خوفاً من تسلط الإنكليز عليهم فهو من قبيل الغريق يتشبث بالحشيش لأنهم يستطيعون دفع عساكر الدولة الإيرانية ولا يستطيعون منع مراكب الدولة الإنكليزية فينسبون أنفسهم إلى الدولة الإيرانية لعدم خوفهم منهم يبتغون بذلك الخلاف من تعرض الدولة الإنكليزية بهم وكانت دعوى انتسابهم إلى الدولة الإيرانية بعد أن نادوا بأعلى صوت من كل جانب بتبعية الدولة العلية فلم يُجيبهم أحد ومع هذا فهم الآن معترفون بتبعيتهم للدولة العلية ومتأسفون على إعراض الدولة العلية عنهم.

وبمساعدة قنصل بندر أبو شهر عُزل محمد بن خليفة عن البحرين ونصب محله أخاه علي، فذهب محمد إلى الكويت وهو من بني عم شيوخ الكويت فالتمس شيخ الكويت من علي عود أخيه إلى البحرين فعاد ومعه أثناء الدخول محمد بن عبد الله من بني عمه فاستقبله علي بموكب الحرب ومعه ولد محمد بن عبد الله فلما رأى علي محمداً بن عبد الله مع أخيه محمد بن خليفة قال لولد محمد بن عبد الله والدك من الخائنين معي فتضاربا وقتلا معاً فذهب محمد بن خليفة إلى بيت أخيه علي ثم حُبس وصار محمد بن عبد الله شيخاً على البحرين وهذه وقعة عجيبة».
[ص١٨٩-١٩٠-١٩١].

وهذا نصٌ طويل فيه خلط بين التصور والخبر، ولكنَّ هذا النص فرصةٌ للوقوف على ما وصل من أخبار عن حادثة الضلع في الأقطار المحيطة، فمن الواضح أنَّ الحادثة أحياناً لا تُنقَلُ بشكلها الصحيح، بل يقع فيها نوع من الخلط، فأقول:

أولًا: المتولى عليها بابن خليفة المقصود فيه عيسى بن علي آل خليفة، لأنَّ المؤلف اختتم كتابه هذا في رمضان من العام ١٢٨٦ هجري كما قال المؤلف: «**وختامه في شهر رمضان المبارك، سنة ألف ومائتين وستة وثمانين من الهجرة النبوية**»، والشيخ عيسى بن علي قد توّلى الحكم قبل رمضان بليلة، يقول المؤرخ محمد بن خليفة النبهاني: «**رقي سمو الشيخ عيسى بن علي ... عرش المملكة لليلة بقيت من شعبان سنة ١٢٨٦**»[٥].

ثانياً: هذا المرجع هو من أقدم المراجع الذي ذكر فيه نسب آل خليفة وأنهم ينتسبون إلى وائل من عنزة، وهو أقدم من المراجع التي كتبت في مطلع القرن العشرين والتي فَصَّلَت في هذا النسب.

ثالثاً: لم يُعرف أنَّ البحرين كانت تابعة للدولة العثمانية مباشرةً، إلا بعد إعلان حاكمها آنذاك محمد بن خليفة آل خليفة التبعية للدولة العثمانية والإيرانية في وقت واحد، ورفعَ علم الدولتين على مقر حكمه! أي أنَّ هذا الولاء مؤقت ومزدوج وأقرب ما يكون إلى الولاء الصوري، وانتهى بنهاية حكم محمد بن خليفة، ولم يُعهد عن عيسى بن علي آل خليفة، أنه ارتبط بالعثمانيين، أو أعلن التبعية لهم.

وكلام المؤلف عن تبعية البحرين لنجد والتي هي تابعة للدولة العثمانية؛ هو نفس ما أشار إليه حاكم بغداد العثماني في رسالته إلى القنصل المعتمد من قبل الحكومة البريطانية في رسالة بتاريخ

---

[٥] محمد بن خليفة البهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، المؤسسة العربية للنشر والدراسات والمكتبة الوطنية، الطبعة الثانية: ٢٠١٠، (ص١٣٦).

٢٧ يونيو ١٨٦٠م، إذ يقول فيها: «**لقد استلمت رسالتك والتي تذكر فيها عن رفع العلم التركي في سماء البحرين وتذكرون أيضاً الاتفاقيات التي تربط تلك البلاد بالحكومة البريطانية وتطالبون مني عدم التدخل في أمور البحرين، علماً بكل ما سبق أود أن أؤكد حقيقة واضحة وهي أنَّ البحرين كانت دائماً تابعة لقائمقام نجد (وكانت تدفع له العشور)، وانه عندما قام فيصل باضطهاد رعايا البحرين قامت مجموعة من سكان البحرين بالكتابة لمن سبقني ووصلت هذه الرسالة قبل وصولي إلى بغداد ويطالبون فيها إرسال ضابط يستطلع أمور الجزيرة حيث إنها كانت تحت إدارة قائمقام نجد والتي تقع في منطقة صلاحيات وإدارة بغداد**»[٦].

كما يجب التنبيه أنَّ حدود بسط النفوذ والسيطرة في تلك الفترات بين الإمارات العربية مختلف عن وضعنا الحالي، فبمجرد أن تدفع الزكاة لطرف فأنت تابعٌ لمن تدفع له، ولكن لا يعني أن من تدفع له تكون له السيطرة التامة عليه، ولا حتى في سياساتك الداخلية، وفي أي لحظة تستطيع أن تنقض هذه التبعية وتغيرها أو تستقل بذاتك، وأحياناً يكون دفع الزكاة إجراء سياسي مؤقت يكون المقصد منه التقاط الأنفس وترتيب الصفوف؛ ثم ما أن يتم ذلك ينقض هذا الأمر.

لذلك يرى البعض أنَّ مجرد دفع الزكاة على أنه دفع مبلغ من المال لكفّ الأيدي عنك، أي تدفع لطرف حتى لا يعتدي عليك، وتأمن جهته، ففي تلك الحقبة لا يقال إنَّ حكام البحرين ليسوا آل خليفة؛ لأنهم دفعوا الزكاة إلى حكام الدولة السعودية الثانية، فضلاً عن تبعية البحرين إلى العثمانيين والذين هم طرف ثالث في المسألة.

وأفضل مثال لبيان حدود هذه التبعية؛ هي حادثة الضلع، والتغيّر الذي حصل داخل بيت الحكم في البحرين، وقد افترضت بريطانيا ضمن مراسلاتها لوجود مباركة من إمام نجد لعملية

---

[٦] مي الخليفة، محمد بن خليفة: الأسطورة والتاريخ الموازي، المؤسسة العربية للدراسات، والنشر، الطبعة الثانية: ١٩٩٩، (ص٤٧٥).

غزو البحرين انطلاقاً من القطيف والتي أدت إلى تملّك آل عبد الله البحرين، وقد أتت بريطانيا وقصفت المنامة واعتقلت الحكام الجدد، وآلَ مآلُ الحكم إلى عيسى بن علي، دون أن يكون لسلطان نجد أي دور في منع هذه التغيرات أو رفضها، رغم التبعية المفترضة لنجد آنذاك.

رابعاً: حول وقعة الضلع، يقول المؤلف:

«وبمساعدة قنصل بندر أبو شهر عُزل محمد بن خليفة عن البحرين ونصب محله أخاه علي، فذهب محمد إلى الكويت وهو من بني عم شيوخ الكويت فالتمس شيخ الكويت من علي عود أخيه إلى البحرين فعاد ومعه اثناء الدخول محمد بن عبد الله من بني عمه فاستقبله علي بموكب الحرب ومعه ولد محمد بن عبد الله فلمّا رأى علي محمداً بن عبد الله مع أخيه محمد بن خليفة قال لولد محمد بن عبد الله والدك من الخائنين معي فتضاربا وقتلا معاً فذهب محمد بن خليفة إلى بيت أخيه علي ثم حُبس وصار محمد بن عبد الله شيخاً على البحرين وهذه وقعة عجيبة».

ففيه خلط، فمحمد بن عبد الله آل خليفة كان في البحرين قبل أن يدخل محمد بن خليفة ولم يدخل البحرين مع محمد بن خليفة، وكان في الظاهر وقف في صف علي بن خليفة، بل كان في الرفاع وقد أرسل إليه علي بن خليفة يأمره بجمع الرجال للحرب، يقول ناصر الخيري عن علي بن خليفة: «**أرسل إلى الشيخ محمد بن عبد الله بالرفاع يأمره بجمع من قبله من رجال الحرب ومقابلة الغزاة ومنعهم من التقدم إلى جهة البلاد**».[7]

وأما الانقلاب الذي حكى عنه المؤلف، أي انقلاب آل عبد الله على علي بن خليفة، فقد اختلفت الروايات إلى حد عدم القدرة على الترجيح، وهذا يحصل في الحروب حتى المعاصرة، أن يُختلف

[7] قلائد النحرين في تاريخ البحرين، ناصر الخيري، تحقيق: د.بشر زين العابدين، مركز البحرين للدراسات، الطبعة الأولى: ٢٠١٣، (ص٣٢٢).

في تعين مَن أطلق الطلقة وقتل الشخص، فلذلك تجد أنَّ ثمة روايات لا تتفق حول مَن قتل علياً بن خليفة.

فالمؤلف هنا يقول إنه ابن محمد بن عبد الله (لعله يقصد الحباب) هو مَن قتل علياً بن خليفة.

وناصر الخيري يقول إنه محمد بن عبد الله نفسه، وهذا نصُّ كلامه: «**فدار بين الطرفين دولاب الحرب وقوي بينهم الطعن والضرب، وعندها أظهر محمد بن عبد الله ما يَكُنُّهُ ضميره من البغضاء لأبناء عمه آل سلمان، وشدَّ على الشيخ علي بن خليفة وهو مشغول عنه بمدافعة الأعداء عن نفسه وطعنه طعنة صائبة فقتله وأعدمه الحياة**».[٨]

والنبهاني لم يُعيِّن القاتل، بل اكتفى بذكر أن علي بن خليفة قتل أثناء المعركة التي دارت بين الطرفين.

وهناك عريضةٌ كتبها بعض أهالي البحرين في أواخر سبتمبر من العام ١٨٦٩م وترجمها المساعد الثاني للمقيم السياسي في الخليج (ل. سميت)، تذكر تفاصيل الواقعة؛ وتقول إن علي بن خليفة قد قتل على يد ناصر بن مبارك بن عبد الله[٩]!

والرواية البريطانية التي صاغها المساعد الأول للمقيم السياسي البريطاني الكابتن (واي) تقول إنه قتل على يد أحد البدو[١٠].

وتقول مي آل خليفة أنَّ الرواية السائدة في العائلة الحاكمة تتوافق مع الرواية البريطانية، أي أنَّ أحد البدو هو مَن قتل علي بن خليفة، ولكن حتى العائلة ثمّة اختلاف، فالنبهاني لم يكتب كتابه

---

(٨) المصدر السابق.

(٩) انظر: محمد بن خليفة: الأسطورة والتاريخ الموازي (ص٥٨٦).

(١٠) انظر: محمد بن خليفة: الأسطورة والتاريخ الموازي (ص٥٧٣).

اجتهاداً من نفسه، بل كان استقى تاريخ آل خليفة من رجالهم وبالأخص من الشاعر والأديب محمد بن عيسى بن علي آل خليفة كما ذكر في مقدمة كتابه.

فلذلك إضافة المؤلف هنا لم تحسم هذا الخلاف، بل أضافت قول جديد على الأقوال السابقة، ولو استخدمنا مصطلح المحدثين في توصيف الحال؛ لقلنا إنَّ الروايات معضلة، أي اختلفت فيما بينها وليس ثمة هنالك مرجح.

وأما الحباب بن محمد بن عبد الله، الذي زعم المؤلف أنه قتل أثناء قتاله مع علي بن خليفة، فالنبهاني يقول إنه قتل قبل بداية الحرب، وفي ذلك يقول: «**وكان قد عوقب آل عبد الله على نكثهم العهود بأن قتل ابن أخيهم الوحيد محمد المشهور بالحباب خطأ قبيل المعركة ولا يعرف له قاتل**»[11]، ولعلَّ هذا بعد أن ظهر انقلاب آل عبد الله، فأُريد الانتقام من محمد بن عبد الله من خلال ابنه الوحيد.

ولكنَّ الرواية التي أوردتها مي آل خليفة تظهر أنه قتل أثناء المعركة وليس قبلها، بل بعد مقتل إبراهيم بن علي بن خليفة، وتقول: «**ومن الحكايات المتداولة ما يقال عن سيدات من العائلة كُنَّ يَرْقُبْنَ المعركة وهي تدور من فوق برج قلعة الرفاع المطل على ساحتها وكانت هنالك اثنتان الأولى نيلة بنت علي ابن خليفة والثانية مريم بنت حمود بن سلمان (من آل عبد الله)، وحين قُتل الشيخ إبراهيم بن علي هتفت مريم بشماته: طاح أخوك (أي قتل أخوك)، وكان الكلام موجهاً لنيلة بنت علي بن خليفة التي ردت متشفيةً بعد قليل موجهة القول للنسوة من آل عبد الله:**

---

[11] التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، (ص١٣١).

ردَّت الدهما، طاح الحباب، (أي عادت الفرس المسماة الدهماء فقد قتل فارسها)، وكان الحباب هذا زوجها إلا أنه قريبُ الأولى!»[١٢].

وقد يُجمع بين الروايتين، بأنَّ الاثنين قد قتلا قبل بدء المعركة، وقد يُفهم من هذا بناءً على كلام النبهاني الذي قال فيه: «**ثم إنه عند ابتداء المهاجمة أرسل الشيخ علي ابنه الشيخ إبراهيم إلى آل عبد الله في محل مخيمهم (معسكر) يأمرهم بمهاجمة جيش الأعداء فأظهروا له الامتثال، ولكن عند انعكافه راجعاً إلى معسكر أبيه كرَّ عليه الشيخ محمد بن مبارك آل عبد الله ورجاله من بني هاجر قطعته برمح أراده قتيلاً عن ظهر فرسه. وتظاهر آل عبد الله إذ ذاك بعداوة الشيخ علي ومحاربته عند زحفه على صفوف أعدائه. ثم التقت جيوش الشيخ محمد والشيخ علي وآل عبد الله وتقاتلوا قتالاً عنيفاً. فالتحمت الصفوف. واختلطت الرماح بالسيوف..**»[١٣].

فإبراهيم بن علي قد قُتِلَ قبل أن تلتقي الجيوش وتلتحم، أي عندما كان آل عبد الله في مخيمهم معسكرين، فيبدو أن مقتل الحباب كان ردة فعل على مقتل إبراهيم، أي بعدما انكشف آل عبد الله، فقتل قبل بدء المعركة. وأن الانقلاب قد تمّ قبل المعركة وليس أثناءها.

ومقتل إبراهيم قد شاهدته نساء الأسرة الحاكمة الذين هم خارج منطقة القتال، فمن باب أَوْلَى أن يشاهدونه من هم في منطقة القتال من رجال علي بن خليفة، والذي قد يقوم أحدهم برد فعل سريع على هذا السلوك، فينتقم من الحباب.

---

[١٢] محمد بن خليفة: الأسطورة والتاريخ الموازي، (ص٥٦٤-٥٦٥).

[١٣] التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، (ص١٣١).

ولكنَّ عموماً ليس هذا هو القول الوحيد في المسألة، فرواية الكابتن (واي) تقول إنَّ الحباب قتل وهو يحارب من أجل في زوجته علي بن خليفة[14]، وهذا يعني أنه قتل من الطرف الثاني (طرف محمد بن خليفة)، وحتى أن محمد بن عبد الله عندما استلمَ الحكم وكتب روايته للأحداث وأرسلها الى البريطانيين، حكى أنه اعتقل محمد بن خليفة وأعدمه، ثم ساق الحجج والمسوّغات التي دعته إلى إعدامه، ومن بينها أنه قتل ابنه[15]! أي كأنَّ الحباب قد قتل من طرف محمد بن خليفة وآل عبد الله وليس من طرف علي بن خليفة.

وفي النهاية ليس ثمّةَ مُرجِّحٌ، وكل ما في الأمر هنا أن ثمة محاولة تحليل للوصول إلى الحقيقة دون الجزمِ بها.

***

قاعدة البحرين القديمة:

«**هذا ومن أعظم بلاد البحرين وأشهرها هَجَر -بفتح الهاء والجيم- وهي التي كانت قاعدة البحرين في الزمن المتقدم فخرَّبها القرامطة عند استيلائهم على البحرين وبنوا مدينة الأحساء ونزلوها وصارت قاعدة البحرين**». [ص١٩١].

***

ولاية حاكم البحرين على قطر:

[14] انظر: محمد بن خليفة: الأسطورة والتاريخ الموازي (ص٥٧٤).

[15] انظر: محمد بن خليفة: الأسطورة والتاريخ الموازي (ص٥٦٨).

«**ثم في شرق العقير ناحية قطر وهي منازل العرب أهل السفائن الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ، وهم قبائل منهم من قحطان، ومنهم من وائل، وفي بر قطر بعض من بني هاجر، وفي باديته عشيرة يقال لها المناصير، وفي سواحله عدة محال كثيرة منها: البدع وهو رأس الزيارة، وفويرط وغير ذلك من البنادر. وقد يتصرف صاحب جزيرة البحرين أحياناً في قطر، وأما برُّه وصحاريه فهو في تصرف ابن سعود**». [ص٢٠٠].

***

بعد البحرين عن بقية الأقاليم بقياس الساعات:

«**وبعد جزيرة البحرين عن القطيف كمقدار خمس ساعات بحراً، وعن العقير مقدار سبع ساعات بحراً، وعن قطر مقدار أربع ساعات بحراً، وبعد جزيرة البحرين عن مسقط بحراً مع الريح المعتدل سبعة أيام، وبُعد نجد عن جزيرة البحرين بحراً سبع ساعات، وبراً ثماني مراحل، وتبعد الأحساء عن جزيرة البحرين براً مرحلة ونصف مرحلة، وبحراً سبع ساعات**». [ص٢٠٢-٢٠٣].

***

نسب قبائل البحرين:

«**وعرب جزيرة البحرين والقطيف وهجر من ربيعة وغيرهم**». [ص٢٠٧].